

عن ذكر مهود الصحراء وبيت الحكمة

## رهين المحبسين

لإسماعيل مطهر

الصحراء سحابة الأول ، والنيران يحيطه الثاني ، فإلها من محبتين ، الذكريات  
فيها نايقة ، والآمال مضموعة ، والحالات رهين القيود والاعلال . هناك على حافة  
الصحراء يقوم ذلك الخيثار الذي يم بحبروته وهيته على عظم العقل الذي فكر في انشائه ،  
والمة النساء التي أنبتته في عدم الصحراء وهمودها يضرب الطخارير برأسه المنسوب ، وكأنه  
الحق في ثباته وقوته ، أو رمز الأبد في لانهايته . ولكنه الحق الذي لا ناصر له ، شأن  
الحق في جميع الأزمان ، أو الأبد الذي يلقف الاوائل والاواخر ، فإذا انظروا في غيابه  
فلا ذكر ولا ذاكر

الهم نغراً . هذا مثال الجيروت ، وعنوان الملك والمنكوت ، تناب عليه الصحراء  
انسياب النهر الدافق فتمس من حوله الرمال ، وبنتفض عليه النسيان ابتصاص  
الموت فيمنحوه من الفكر ، ويطسه انطاس الاثر الزائل والطلد الدارس ، وهو يد  
جانم بكل عدلته على صدر الصحراء كأنه امرأة مهجورة . أما مجوم الليل ، فدسوما  
استعدت نارا

أي شيء جعل النسيان بأبيره ذلك الأسر لا شيء : إلا موت الذاهل ، وذهاب العائل  
وأي شيء جعل الزمان ينصر عليه ذلك التص الحاسم ، فيتركه للصحراء لتتوى عليه استنواء  
الخراب على الفقر ، وتتكبر له تكبر المدم للوجود لا شيء : إلا مشيئة الزمر في أن  
يموت الراعي ، فيضرب القدير على الحملات

السكون أبيض ، والرياح التناوذة صديقه وجلبه . لا أثر هناك للحياة إلا بضع شجيرات  
في أبيض نقاب الصحراء ظناً للبقاء وأناس حزينة تبثها بومات هناك ، أمجدن

من شرفات ذلك المطرَح الشمخر مندباً تدين منه الاحياء، اي هلن قنأً أرسنم عننا تم  
وأذكر منكم لو سائتم، وقد زكسوها قنراب، ثم للخراب

\*\*\*

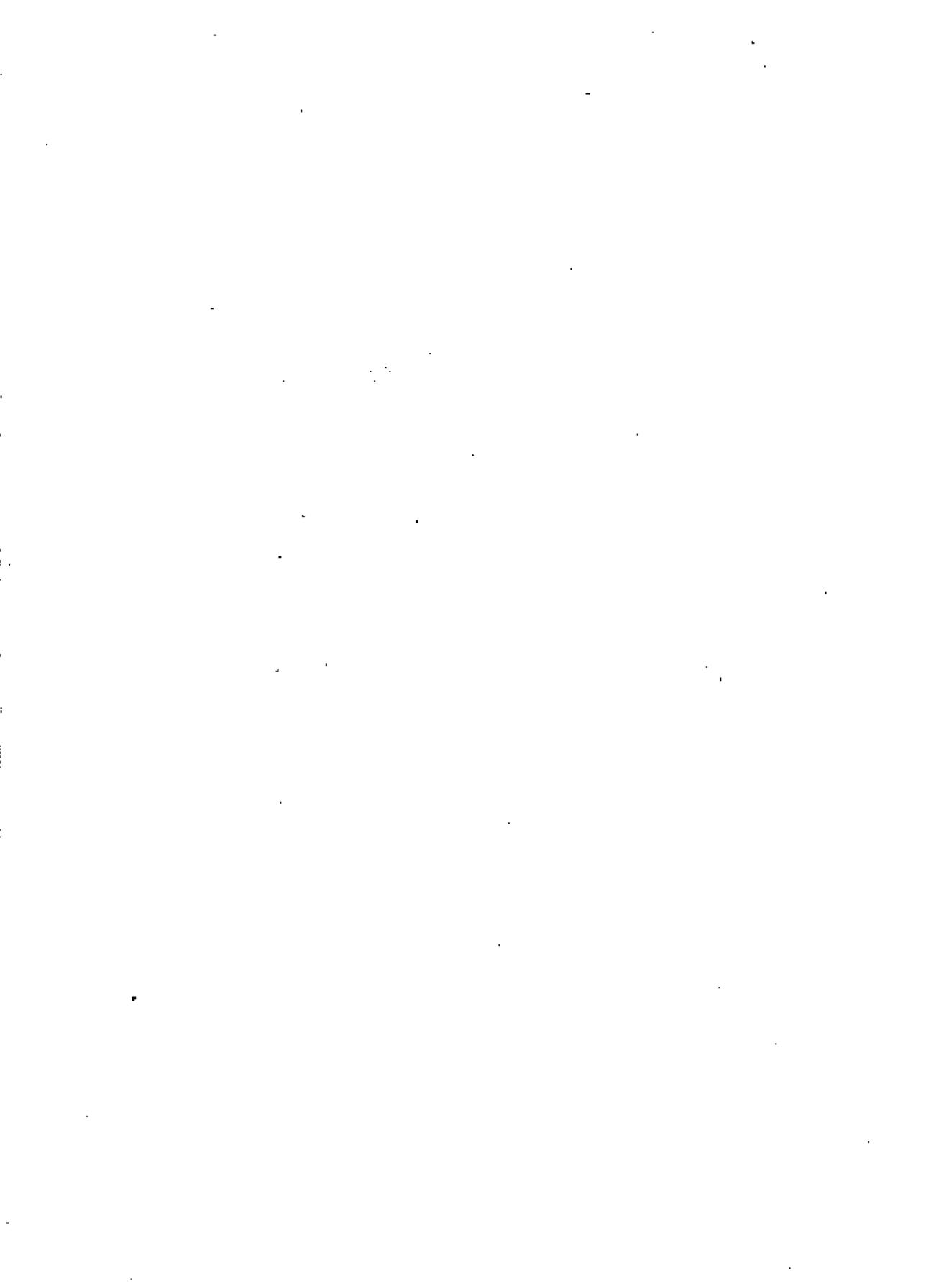
كنا صديقين جمعنا وحدة اليول ووحدة الفكر . أفنا يوماً بالصحراء فلما بصدرها  
الحنون ، لتودعه بض آمانا ، وقليلاً من آمالنا ، وما زلنا نضرب فيها حتى التقتنا بمهد  
الصحراء يطل علينا من سماء اربمائة وألف من السنين بعدائه وشرفاته ونواقذه البرية  
الاصيلة ، فكأنه قطعة من قصر غمدان ، او نسخة مصفرة من حراء الاندلس . ولكن أين  
الباب ؟ ها هو ، غير انه موصد بألواح رثة من الخشب . وأين النواقذ ؟ ها هي ، غير انها مغلقة  
وأين السكان ؟ كلاً . لا إنس هناك ولا جان

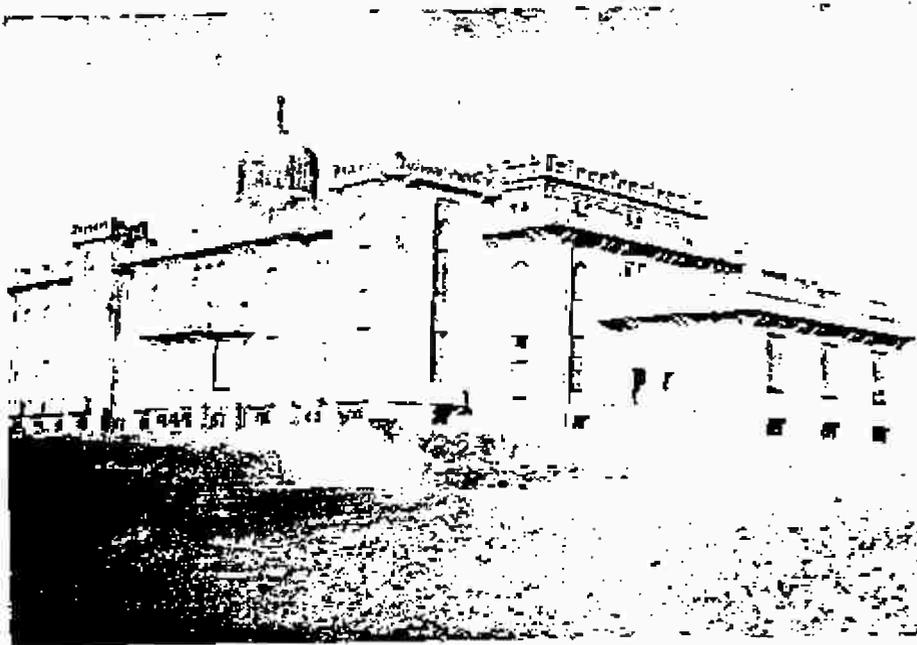
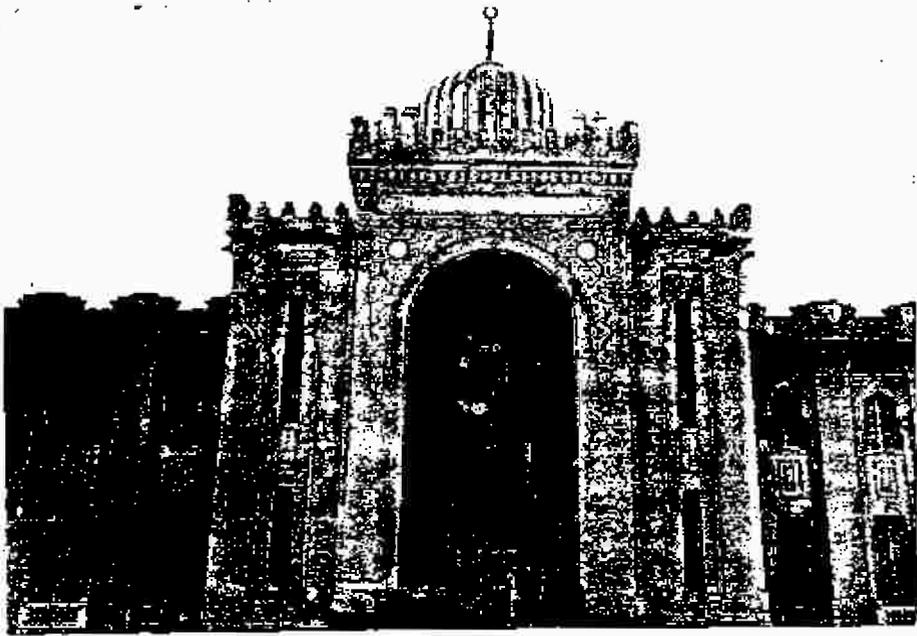
سلفت وصديقي أواحاً من الخشب نسيها هناك المشيد البناء ، حتى وصلنا الباب ، فأية  
عضة سائتة نكلم ، وأية أحجار هناك تناجيك بما درس وزاد من فكرة أقمت ذلك الأثر  
حيث أقام . عن بينك تلك الشجيرات ، وعن يسارك مقعد من الخشب وحمير وجوالق خلق  
يتخذ منها حارس المعهد وثاراً وديناراً . ولكن أين الحارس ؟ لقد لاذ بمدينة الاجباء ، فاعياً  
الصحراء ومعهد الصحراء

أبست ذلك المهدي كما تبت زهور اليد : أذهي في رمضاء الصيف ، هباء ، وفي زمهرير  
الشتاء رواء ؟ أخرج ذلك القصر السامع خروج الضفليات ؟ أم انه سوف يتطلع اقتلاع  
الطفيل في بيته لا تلاعه ؟

\*\*\*

قال صديقي : كلاً أبست ان المنفور له ملكنا نواداً الأول ، عليه من الله الرحمة ،  
هو صاحب الفكرة في اقامة هذا المهدي ليكون للصحراء مدرسا ، يتم فيه علماء مؤلفون بدرسون  
صحاري مضر وما فيها من خيرات بحثاً علمياً عملياً ، قد يكون منه لهذه البلاد خير عم وقع  
عظيم ؟ ألا نجد أن الصبي يجولون من ارض بلادهم ، وأربعة أخماسها صحراء ، ما يعلم أهل الغرب  
منها ؟ أبست ان عاهلنا الراحل العظيم قد حلف ذلك الأثر غير كامل لما ان نبي نداء ربه ان  
دار العيم ، فظن كما كان يوم ان أسلم عاهلنا الروح ، سلمه أنواع رثة من الخشب ، وسكانه  
بومات تروح ، ولذا حارسه بمدينة الأحياء ، تثار يئس كما نسي ذلك الجبار الصحراوي الضخم ؟





سورتان لعهد الصحراء بمصر الجديدة

قلت : وهذا هو المهد : فإن العالم ؟ وهذه هي الصحراء : فإن الباحث ؟ وهذه هي مصر : فإن ذهبها وأبن رجالها يتقدون المهد والشمكة من اتسيان ، ومن زمان الصحراء ، ان تطلس عليها ؟ قلت : كلاً : إن ملكنا فؤاداً العظيم لم يمت . فقد أخاف علينا من عقته ومن عظته خلقتة الفاروق ، وأضيق علينا من منه ما يضيق العظام على الأمم بما يتنبون

ولئن لم يجمع الناس قلن بنى جلالة فاروقنا أن المنفور له والداه العظيم ، قد أقام هذا المهد بحض فكره ، كما أقام غيره من الماهدين ليحصن مصر بالعلم ويؤدها بالعلماء ، لضرب في آفاق الحضارة كما ضربت من قبل ذلك خلال القرون ، وما أشك في أن جلالة ملكنا العظيم ، إذا عرف اليوم أن مهد الصحراء قد أصبح لسياً منسياً في عصر يزدهر بأياديه اليض وإساعه الزهر ، فإن ذلك كغيبل بأن يكون فأنحة حياة جديدة يختم بها ذلك المهد عهد النسيان

يا مولاي

أود أن أقدم على ضعفي الى سدتك العلية بكلمات من حقي ، وانا محصن برمانتك عموط بناتك التي هي من حق كل مصري على جلالتك ، أن لا تكون براء مقصودة الاطراف منتفصة النواحي ماثورة المعاني . هذا المهد الذي أنشأه عاهلنا العظيم جلالة والتك ، لا ينبغي ان يظل في عهدك الزاهر ، لتواً في لغة الحياة التي يستمر في هذه البلاد وتوسمت في بنها خطتي المنفور له والدك . ولئن كان الناس قد نسوا ، فأخاق بجلالتك ان تذكر

ولئن كانت الصحراء سوف تعمم مهدها الذي لا أشك في أن جلالتك سبمت فيه الحياة بعد الموت ، فاني الى جانب ذلك أعود بالذكريات الى العصر العباسي ، ذلك العصر الزاهر في تاريخ حياة العرب والعربية ، وإلى عصر الخليفة المأمون الذي أسس « بيت الحكمة » في بغداد ليكون مستقراً للعلم ينقلون فيه حكمة اليونان إلى العربية ، فأسموا بذلك سلكاً من العلم لم يناه له في العصر العباسي من حيث الأثر الأ عظمة المأمون

ومهد الصحراء يا مولاي عظيم مقدس الارحاء اتساع العقل الخالد الذي فكر في انشائه ، فهل نطمح في أن يضم إليه بضمة علماء يفتون جهودهم على ترجمة علوم اوربا إلى اللغة العربية ؟ وفي مصر يا مولاي علماء أقدم النسيان عن العمل ، ومنهم الخجل عن السؤال ، ويزعم عليهم أن جهنوا العلم بالسجدهاء العظم . النطمح يا مولاي أن تفيض عليهم من فضلك الواسع ما يؤسد حاجتهم من حطام الدنيا ، ليكونوا نواة لبيت الحكمة في عهدك ، فيتركوا للاجيال القادمة آثاراً لا يبرها من حيث الأثر في العالم العربي الأ عظمتك ، ولا يتوقها في الجلالة الأ جلالتك ؟